سِلسِلة
حِكايات
السَّمَر
١٥

زكريَّا كَايَا

العُودُ الهِنْديّ



دَارُ الجيل
بيروت - القاهِرة

سِلسِلة
حِكايات
السَّمَر

(١٥)

العُودُ الهِنْدِيّ

تأليف ورسوم

زكريّا كايَا

دارُ الجيل
بيروت - القاهرة

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

العُودُ الهِنْديّ

حَدَثَ في الزمنِ الذي فَرَضَ فيه الأتراكُ هَيبتَهم على الخِلافَةِ في بَغدادَ وبَسَطُوا سُلطانَهم وجَعَلُوا منَ الخَليفةِ أُلعُوبَةً في أَيدِيهِم يَعزِلُونَ مَنْ يَشَاؤونَ ويُنَصِّبونَ مَنْ يَشَاؤُون.

حَدَثَ في ذَاكَ الزَمَنِ البَائسِ أنه كان أحدُ الخُلفَاءِ في زيارةٍ إلى قَصرِ أحدِ القَادةِ الأتراكِ من ذَوي السَّطْوة، وكان القصرُ آيةً في الجَمَالِ، وروعةً في فَنِّ العَمَارَةِ، تُحِيطُ به حَدَائقُ غنَّاء. وكان هذا القصرُ يَخُصُّ أحدَ أَجدادِ الخَليفةِ وقد تَخَلَّى عنه وباعَهُ بعضُ أَحفادِهِ تَشَاؤُماً وانتَهَى أمرُهُ إلى هذا القائدِ التركيِّ الذي ارتفَعَ نَجمُه.

نزلَ الخليفةُ في صَحْنِ الدَارِ تَصحَبُهُ كَوكبةٌ مِن جُنْدِه، فَأُخِذَ بجَمَالِ وجَلالِ القَصر فأَسقَطَ دَمعةً حَزينةً حَرَّى عَليه

وقد صَار إلى خِصِيٍّ من خَدَمِ أجدادِه، فمَسَحَ الدَمعَ عندَما استقبَلَه القائدُ التركيُّ فسأله قائلاً:

- تُشُدُّني رَغبةٌ شَديدةٌ لأن أَطُوفَ بالقَصر؛ فهل يأمرُ القائدُ بمَنْ يُرافقُني في جَولتي ويَدُلُّني على مَعَالمِ القصرِ؟ فالقصرُ يُثيرُ فيَّ حنينًا وذِكرياتٍ عاشَها أجدَادي العظامُ فيه.

أمرَ القائدُ التركيُّ رجلَيْن من خاصَّتِه بأن يُرافِقَا الخَليفةَ في طَوافِه وتَجْوالِه، فَانْتَبَهَ أحدُ **ثِقاتِ** الخليفةِ لخَطَرِ هكذا مُرَافَقَةٍ، فلَحِقَ به وقال له هَمْساً بِالعَرَبِيَّةِ، وقد كانَ المُرافِقَان التركيَّانِ يَجْهَلان العربيَّةَ:

- أصلَحَ اللهُ الخَليفةَ، لا يَصُحُّ أن تَطُوفَ الدارَ إلّا ومَعَكَ نفسَانِ أو أكثرَ من خَاصَّتِكَ؛ فاختَرْ لنفسِك مَنْ تُريدُ وَرُدَّ أصحابَ التركيِّ.

فردَّ الخليفةُ قائلاً:

- ذلك لا يجوزُ. ولكنِ احرِصْ أنتَ بنفسِك على سَلامتي من غَدرِهما.



وتملَّكَ الخليفةَ **جَزَعٌ**، فَرَاحَ يُسرعُ الخُطَى بعدَ أن نَبَّهَهُ صَاحِبَهُ إلى الخَطَر، فلَحِقَ به الصَاحبُ، وجَذَبَ ثِيابَه وقال بالعَربيَّةِ هَمْساً:

- ما لك **تَعْدُو** على وجْهك؟ أَوَلَسْتَ تعلمُ أنَّكَ في دَارٍ قتلَتْ ألفَ أميرٍ ووزيرٍ؟ ما الذي دَفَعَكَ إلى الطَوَافِ في مثلِ هذه الدارِ وَحْدَك؟. ما كان يُؤمِنُكَ لو وَقَفَ لنا واعتَرَضَنَا عَشَرَةٌ من الخَدَمِ التركِ، أو حتَّى عِشرُونَ نَفْساً في هذا المَمَرِّ الضَيِّقِ، فنُقْتَلَ، ولا أحدٌ يعلمُ بخَبرِنا؟!...

- صَدَقْتَ! ولكنْ إن أنا رجعتُ الساعةَ، عَلِمُوا أني قد فَزِعتُ، فتضعفُ هَيبتي في نُفُوسِهم.

ومضَى الخَليفةُ وصَاحبُه يَسيران الهُوَيْنَا ويَتَمالكانِ نَفسَيْهما، حتَّى خَرجا من **دَهَاليزِ** القَصر إلى رِحابِ **صَحْنِه** حيثُ كانَ القائدُ التركيُّ ورجالُ الخليفةِ بانتِظارِه، فابتسَمَ الخَليفةُ ابتسَامةً عَرِيضةً، وأثنى على القصرِ، **وأطرَى** جَمَالَه

وسِحْرَه وثراءَ أثاثِه ونفاسَتَه، ثم وَدَّعَ مُستقْبِلِيهِ واعتَلَى صَهوةَ جَوادِهِ وخرَج. وعندَما صارَ في مَوكبه وبينَ رِجَالِهِ التفَتَ إلى صَاحِبِهِ وقال:

- قد زادَتْ محبَّتي لكَ وكَبُرَتْ ثِقتي بكَ، فقَدْ نَبَّهتَني من خِطرٍ تَسَرَّعْتُ بإلقاءِ نفسي فيه **غَشْمًا**، فلو ضَمَرَ لي التركيُّ شرّاً لكانَ قَتَلَني اليومَ بأسهَلِ حِيلة. والخِلافةُ يطمَعُ فيها الجميعُ.

ولمَّا رَجَعَ الخَليفةُ ودخَلَ دارَه سَالِماً، شَكرَ اللهَ عزَّ وجَلَّ، وأمرَ الصَاحبَ ألاَّ يُفارِقَ قَصرَه إلاّ بإذنِه، وخَصَّه بدارٍ كانَتْ عندَ نِهايةِ حديقةِ القصر.

وصارَ الصَاحبُ يَترَدَّدُ الى القَصرِ ويُجَالِسُ الخَليفةَ حتَّى ساعاتٍ متأخِّرةٍ منَ النهارِ ومنَ اللَيلِ.

كان الخليفةُ شَغُوفاً بالعُودِ الهِنديِّ الذي يُطلِقُ رَائِحَةً زَكِيَّةً عندَ احتِرَاقِهِ، فشَكَا لصَاحِبه، ذاتَ ليلةٍ، حَاجتَهُ إلى مثل هَذا العُودِ فَرَدَّ الصَاحِبُ وقال:

- يا مَولاي! الملوكُ لا تتقبَّحُ أن تَستهدِيَ منَ الملُوكِ طرائفَ ما في بلادِها، فَلو أنفَذْتَ إلى مَلكِ الهندِ هَدِيَّةً نَفيسةً، وَاستَهْدَيْتَ منهُ عُوداً هِندِياً، ما كانَ ذلكَ عَيباً.

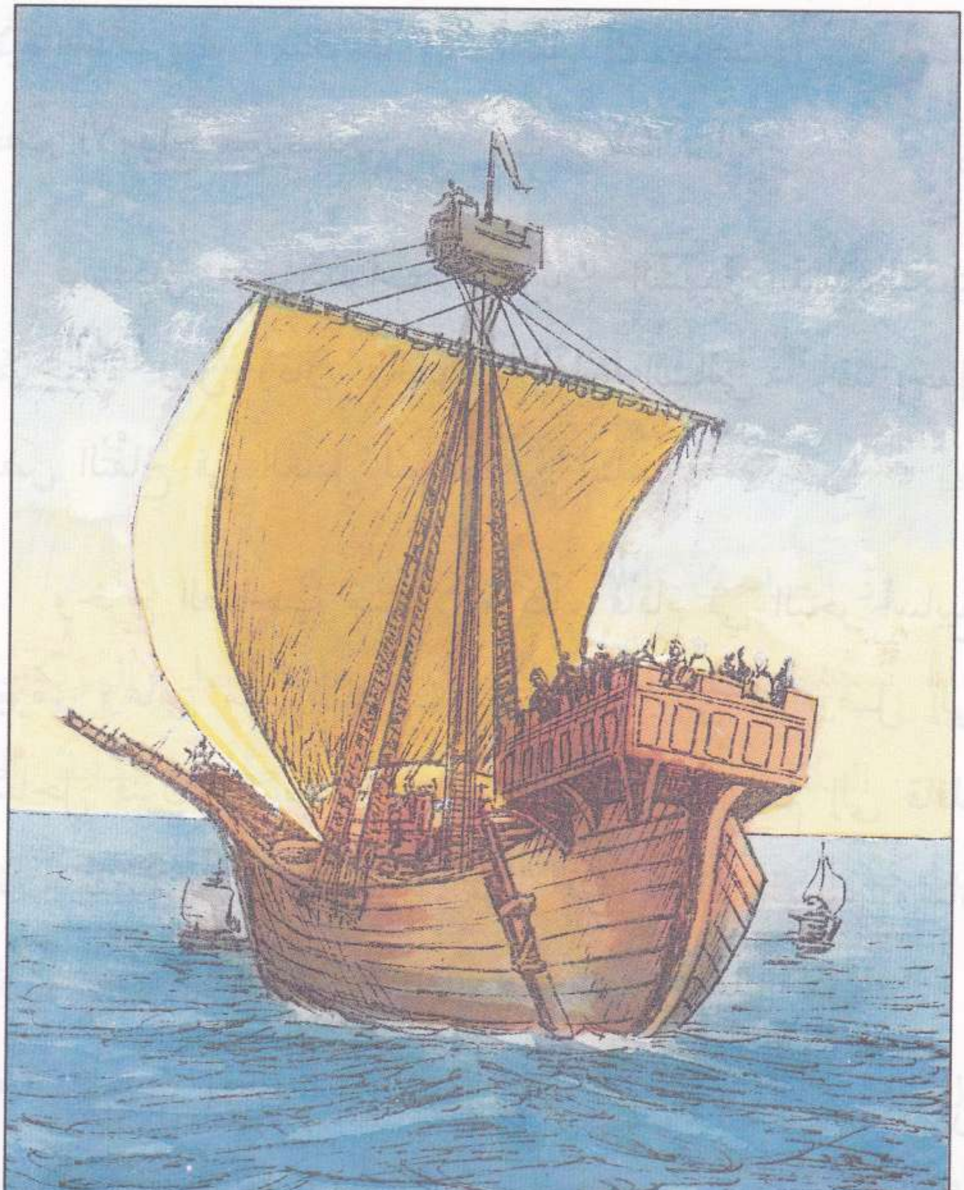
فأطرق الخليفة برهةً ثم قال:

- صَدَقْتَ! وتكونُ أنتَ الرسُولَ لرجَاحةِ عَقلِكَ وحُسْنِ تَدبيرِكَ. فأبَى الصَاحبُ، فألحَّ الخليفةُ وأَلْزَمَهُ حتَّى استَجَابَ لِطَلبه وهو يقُولُ:

- تمنَّيْتُ أنِّي لم أكنْ أَشَرْتُ عَليكَ بالرَأي، وإن كانَ صَحيحاً، فها أنذَا أُجبِرُ نَفسِي على رُكوبِ الأخطار. فقد كانَ يَسَعُني السُكُوت!

أَعَدَّ الخَليفةُ الهَدَايا اللائِقةَ بالمُلُوكِ، وتأهَّبَ الصَاحبُ للخُرُوجِ وَوَصَّى أهلَه لِيَأْسِهِ مِنَ الرِّحْلَةِ التي **تكتَنِفُها** المَخاطِرُ الجَسيمة. فلما كانَ يومُ الرحيلِ حَدَّثَ نفسَه وقال:

- ليسَ إلاّ أن أحمِلَ مَعي شَراباً كَثيراً، فإن اشتَدَّتِ



الأموَاجُ شرِبتُ وسَكَرتُ ولا أَعقُلُ إن غَرِقتُ، ولا أحسُّ بعُظْمِ الأمواجِ مع السُّكرِ.

فاستَكثَرَ منَ الشَرابِ القُطْرُبُّليِّ الشَهيرِ آنذاكَ لنَكهَتِه السَاحِرةِ، ومِن زقاقِ العَسَلِ والتُفَّاحِ الشَاميِّ، وقد جَعَلَ بعضَ التُفَّاحِ في العسلِ ليُحفَظَ من التَلَفِ.

وخرجَ الصَاحبُ مُستقِلاً مَركَباً، فأقامَ في البَحرِ أسابيعَ كثيرةً، وعانَى من اضْطرابِ مَوْجِ البحرِ إلى أن وَصَلَ إلى السَاحلِ فنزلَ في بعض موانىءِ الهِند. ثمَّ انضَمَّ إلى قافلةٍ كانت تقصُدُ دارَ المَلِكِ الأعظَمِ من مُلوكِ الهِند، وسَارَ بِمَعِيَّتِهَا حتَّى حَطَّ بهم المَطافُ في مَدينةِ «دهلي».

وبعدَ أنِ استَرَاحَ الصَاحِبُ من تَعَبِ رِحلَتِهِ الشَاقَّةِ، أُذِنَ له بالمُثُولِ أمَامَ المَلِكِ، وأُرسِلَ مَنْ يَصطحِبُه إلى القَصرِ، فحَمَلَ الصَاحِبُ هَدَاياه ودَخَل مَجلسَ المَلِكِ وهو في حَفْلِهِ وتَأَهُّبِه، وجَيشِهِ ورَعيّتِهِ، وقد كانَ جالساً على سَريرِ مُلْكِه،

وعَليه مئزرَانِ حَريريَّانِ منَ الصِينِ نَفيسَانِ، وفي رَقَبَتِه خَيْطٌ فيه صُرَّةٌ من ذلك الحريرِ ليسَ يَدري أحدٌ ما فيها.

تقدَّم ترجمانُ الملكِ من رسُولِ الخَليفةِ وقال:

- يقولُ لكَ الملكُ، لأَيِّ شَيءٍ قَصَدْتَنَا، وقَدِ اجتَزْتَ في سبيلِ ذلكَ مخاطرَ كثيرةً.

ردّ الصَاحبُ قائلاً:

- إن أميرَ العربِ ومَلِكَهُم أحَبَّ صِلَةَ الحالِ والمَوَدَّةِ بينه وبينَ الملكِ الجليلِ فبَعَثَني لذلكَ، وَحَمَّلَني هَدَايَاهُ إلى مَقَامِكُمُ **المَهيبُ** وأسألُ أن يأمرَني الملكُ فَيَتَسَلَّمَها.

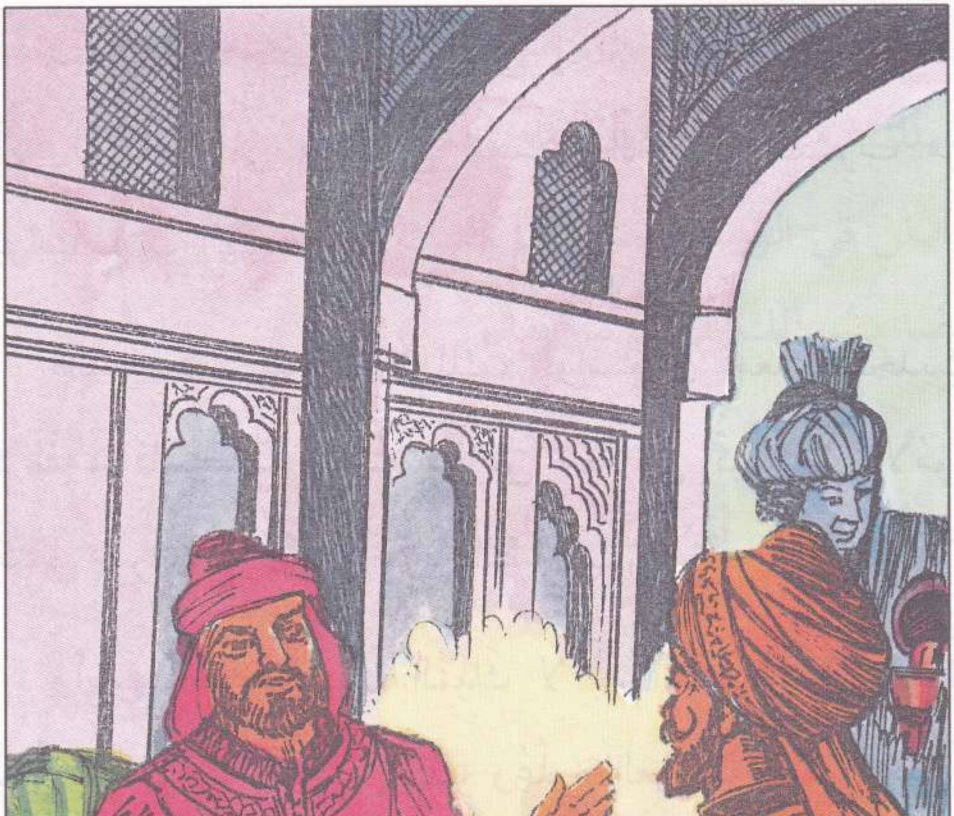
فأعادَ الترجمانُ عنِ الملكِ جَواباً حَسَناً وأمرَ بَتَقَبُّلِ الهَدِيَّةِ، فتقدَّمَ رجالُه وحَمَلُوا الهدايا، وانصَرَفَ الصَاحِبُ بعد أن أَلَحَّ الملكُ على استضَافتِه، على أن يَتَرَدَّدَ إلى مَجلسِهِ متى شاءَ، حتَّى يأذنَ له بالعَودَةِ إلى بِلادِه.

وبعدَ مُرورِ عَدَدٍ من الأيَّام استَدْعَى المَلِكُ الصَاحبَ في

الظَهِيرَةِ، وكانَ الحَرُّ شَدِيداً فدَخَلَ الصَاحبُ ديوانَ الملكِ الذي اعتَادَ التردُّدَ إليه، فلَمْ يَجِدْ فيه سِوَى أفرادٍ قَلائلَ. فأُدخِلَ مِن مَوضِعٍ إلى آخَرَ حتَّى أُدخِلَ إلى المَلِكِ وهو جَالِسٌ في حُجرَةٍ في غَايةِ الحُسْنِ والسُرُورِ والظَّرْفِ والمَلاَحَةِ وفاخِرِ المُقتَنَيات، كأنَّها من حُجُرِ دَارِ الخِلافَةِ في بَغدادَ، وَدَسْتٌ طَبْرِيٌّ في غَاية الحُسْن. والملكُ جَالِسٌ فيه وعَليه قميصٌ رَقيقٌ مِنَ الكُتَّانِ في مُنتَهَى الخِفَّةِ والحُسْن، وسَرَاوِيلُ بتَفصِيلٍ بَغدادِيٍّ، وعَلى وِسادَتِهِ غَطَاءٌ مَقَصَّبٌ بذَهَبٍ فَاخرٍ جِداً، وبينَ يَدَيْه آلآتُ ذَهَبٍ وفِضَّةٍ، وَصِيَاغاتٌ عِرَاقِيَّةٌ كَثيرةٌ كلُّها حَسَنَة، مَمْلُوءَةٌ بالكَافُورِ والعَنْبَرِ والمَاوَرْدِ والندِّ والتَمَاثيل.

فبادَرَ الملكُ الصَاحبَ وكلَّمه بلسانٍ عَرَبيٍّ طَلْقٍ، ولُغةٍ فُصْحَى وقال:

- كيفَ أنتَ أيُّها البَغدادِيُّ من تَقَشُّفِ بلادِنا؟ وهو يقصُدُ فَقْرَ البِلاد.



فشَكَر الصاحبُ الملكَ على إنعَامِهِ، ومَدَحَ لهُ بِلادَه، وذَكَر لهُ بأنَّه على سَعَةٍ في العَيْش والمَأْكِلِ والمَشْرِبِ من خيراتِ بلادهِ الهند.

فانشرَحَتْ أساريرُ المَلكِ، واستَغْرَقَ معه بالحَديثِ ولاطَفَهُ، **فاستَطَابَ** حَديثَه **فأفاضَ** مَعه في كَثيرٍ منَ الأمُورِ فاكتَمَلَ سُرورُه بِرُدُودِ وَأَجوبَةِ الصَاحِب.

وأيقنَ الصَاحبُ بأنَّ المَلِكَ لا بُدَّ أنّه عاشَ في بَغدادَ رَدْحاً منَ الزَمَنِ وتَأَدَّب بآدابَ وعُلُوم العَرَب.

قَدَّم الملكُ إلى الصَاحبِ شَراباً كان بينَ يَدَيْه، أصفرَ اللونِ في قدحٍ من بلَّور وعلى طَبَقٍ صينيٍّ وقال:

- إشرَبْ هذا وقُل لي، هَلْ عندَكُم مِثْلُه؟

فقبَّلَ الصاحبُ يَدَ الملكِ ثُمَّ قَبَّلَ القَدَحَ وشَرِبَ **وَتَلَمَّظَ** ثم قالَ:

- هذا الشرابُ في مُنتَهَى الطِيبِ والحُسْنِ والجُودَةِ،

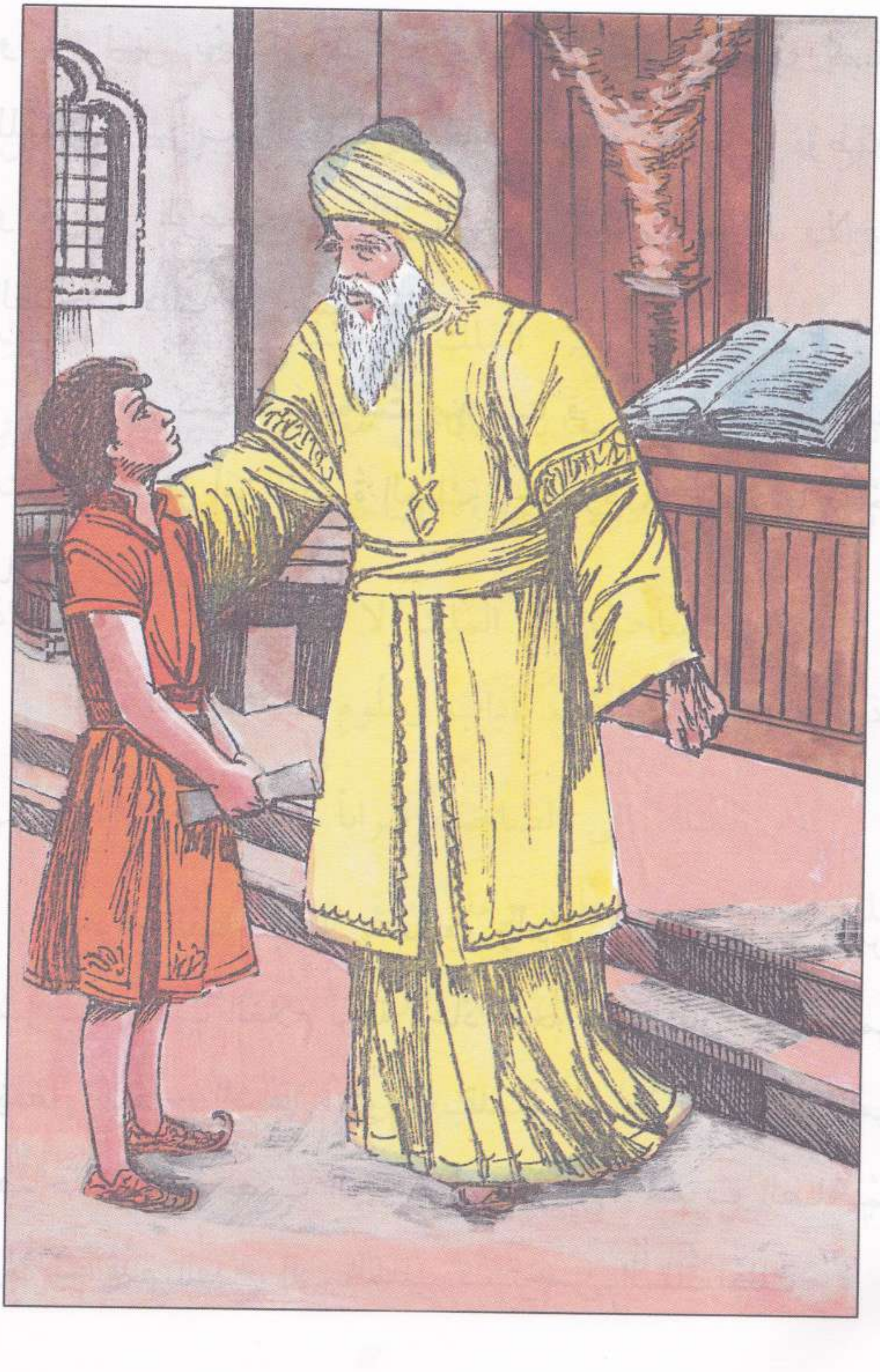
ولكِنْ ليسَ بجُودَةِ الشَرابِ عندَنا. وراحَ الصَاحِبُ يَصِفُ للمَلِكِ الشرابَ القُطْرُبُّلِيَّ مُعَدِّداً منافِعَه وفضَائِلَه وَطيبَه، وأمعَنَ في الوَصفِ حتَّى أثَارَ الشكَّ في نفسِ الملكِ. ولاحظ الصاحبُ ذلكَ في عَيْنَيْه فقال:

- إني كنتُ **استَصْحَبْتُ** منه شيئاً في طَريقي، وقَد فَضُلَ منه فُضْلَةً، لو أمَرَ حَضرةُ الملكِ بإحضَارِها، ليعتبرَ بها صِحَّةَ ما ذَكَرْتُ له، أحضَرْتُها.

فقال الملكُ:

- إفْعَلْ.

فخرجَ الصاحبُ إلى غُلامِه وأمرَه بإحضارِ ما بَقِيَ من الشَرابِ، فغابَ الغلامُ بُرهةً وعادَ ومعه بِضْعُ **دِنانٍ** فيها الخمرُ وبعضُ التُفَّاحِ الشَامِيِّ، وكان قد غَسَلَهُ منَ العَسَل، فأمرَ الصَاحبُ غُلامَه بصَبِّ الخمرةِ في قَدَحَيْنِ، فشَرِبَ الصَاحبُ أولاً ثم قَدَّمَ القَدَحَ إلى المَلِكِ فاستَحْسَنَ الملكُ ذلك.



ثم أخذَ التفاحَ، فلمَّا رَأى لونَه رَأى شيئاً غيرَ ما عندَه، وشَمَّهُ فكادَ أن يَشهقَ استطابةً، وشربَ الخمرةَ وشيئًا قليلاً من التُفَّاحِ، وكان الصَاحبُ قد كَسَرَ واحِدَةً وأكلَ قبلَهُ النصفَ الأوَّلَ، وتَرَكَ للمَلِكَ النصفَ الآخر.

ثم التفتَ الملكُ إلى الصَاحبُ وقالَ له:

- ما ظننتُ أنَّ في الدُنيا مثلَ هذا الشرابِ ولا مثلَ هذا النُّقلِ «يعني التفاح»، ولقد **بَعُدَ في نَفسِي** ما أخبرتَني به، فلمَّا شاهَدْتُه صَدَّقْتُك، وعَظُمَ في نَفسِي بلدٌ يكونُ مثلُ هذا فيه **مُبتَذَلاً**، في متناوَلِ عَامَّةِ النَاس، ولم أُصدِّقْ ذلك لو لم أُشاهِدْه.

ثم جَرَعَ جَرعةً مِنَ المشرُوبِ وأردَفَ يقول:

- ويحَك، تَشربُونَ مثلَ هذا الشَرابِ وتتنقَّلونَ بمثلِ هذا النُّقلِ وَتموتُونَ؟ إن هذا لأَمرٌ عَجِيبٌ.

ثم صارَ الملكُ يَستدعي الصَاحِبُ كلَّ يومٍ ويجلِسُ معهُ

في تلكَ الحُجرةِ، فيأكلانِ مَعاً ويشرَبانِ **ويتسامَرَانِ** بشتَّى الأحَادِيث.

حتَّى كان يومٌ تَذَكَّرَ الصَاحِبُ بأنَّ الخَليفةَ بانتظارِه على أَحَرَّ مِن الجَمْرِ فاستأذَنَ الملكَ وقال:

- أتأذنُ لي أن أسألَك عَن شَيءٍ؟

أَذِنَ لهُ الملكَ بالطَلَبِ فأردَفَ الصاحبُ وقال:

- إن الله عزَّ وجَلَّ قد جَمَعَ لكَ من المُلْكِ العَظيم، وإنَّكَ جَالسٌ في هذه الحُجرةِ في قِطعَةٍ من دَارِ الخِلافَةِ ببَغدَادَ، بلا فَرْقٍ ولا شَكٍّ، وقد أعطَاكَ مِن حُسنِ الرَأيِ والفَهْم، واللسَانِ العربيِّ ما جَعَلَكَ به كأنَّكَ رَجُلٌ من أهلِ بَغداد، فمِن أينَ لكَ هذا؟

قال الملكُ وقدِ انفرَجَتْ أساريرُه طرباً:

- وَيْحَك! إنَّ أبي كانَ من أولادِ المُلُوك، وقُتِلَ أبوهُ ووَثَبَ على مُلْكِهِ بعضُ قُوَّادِه، فَهَربَ أبي خَوْفاً على دَمِهِ إلى

عُمان فدَخَلها مُستَخْفِياً، وتنقَّلَ في البلدانِ إلى أنِ انتهَى إلى بَغداد.

فأقامَ بالعراقِ سنينَ حتَّى تفصَّحَ بالعَرَبيةِ، وعاشَرَ أهلَ العِراقِ وتزوّجَ منهم، وخَالَطَهُم، وتطاوَلَتِ السنونُ به، وماتَ ذلك الخَارجيُّ الذي غَصِبَهُ المُلْكَ وقتَلَ أباهُ، فأوقفَ أهلُ المَمْلكةِ المُلْكَ عليه وكاتَبُوه واستقدَمُوه وأمدُّوه بالأموَال، فاستَصْحَبَ قَوْماً من العِراقيِّين، من أهلِ الأدبِ والعشرةِ وأهلِ الصَنَائع، **وأسنَى** لهُمُ العَطَايَا فَبَنَوْا له هذه الحُجْرَةَ وخَدَمُوه بهذهِ الآلاتِ.

فكانَ يجلسُ لأهلِ المَمْلكةِ في زيِّهم، لئلَّا يَشيعَ عليه مُخَالَفَتَهم في الزيِّ وينقصَ بين مُلوكِ الهِندِ فيهونَ أثرُهُ عندَهم، ويجلسُ في خَلوَاتِهِ هكذا.

فلمَّا وُلِدْتُ، أَسلمَني للعِراقيِّين، والهِنديِّين، فَكلَّمُوني باللُغتَيْن، فنشأتُ أَتكلَّمُ بهما، ثمَّ أدَّبنَي العِراقِيُّون، وغَلَبُوا عَلَيَّ.

فلمَّا ماتَ سَلَّمَ المُلْكَ إليَّ ، فاتَّبَعْتُ طرائقَه في الجُلوسِ العامِّ لأهلِ المملكةِ بزيِّهم، والانفرادِ عَنهم في الخَلوَةِ بهذا الزيّ.

فسَألَ الصَاحبُ:

- فما ذلكَ الذي تُعَلِّقُهُ في عُنُقِكَ في الصُرَّة؟

قال الملكُ:

- هذه الصُرَّة فيها عَظْمٌ من عِظام الرجُلِ الذي جاءَ بعبادةِ «بوذا» وأقامَ هذه الشريعةَ لهم، ولهُ كذا وكذا مئةَ سنةٍ.

وأردَف الملك:

- إنَّ الرجلَ، لمَّا ماتَ، أَوْحَى بأن يُجْعَلَ في تابوتٍ بعد تابوتٍ كذا وكذا مئةَ سنةٍ. فما يَزال، كلَّما بَلي شيءٌ من عظِامِهِ احتفَظُوا بالبَاقي، إلى أن لم يبقَ منه إلاّ هَذا العَظْمُ الواحدُ، فخَافُوا أن يَبلى أيضاً فجَعَلُوه في حِقٍّ من ذَهَبٍ وجَعَلُوهما في صُرَّةٍ، وصارَتِ الملوكُ تُعَلِّقُها في أعنَاقِها. وقد صَار عندَنا كالبُرْدَةِ التي لنبيِّ المسلمين يلبِسُها الخُلَفَاءُ من بَعدِه.

قال الصاحبُ:

- سألتُك الإذنَ في تَسريحي، وقَد حانَ وقتُه، وحُقَّ لي أن أُفْصِحَ بما كَلَّفني به مَولاي، فَقد أُعجِبَ بالعُودِ الهنديِّ وأشارَ عليَّ بالاستِكثارِ منه، وهُو أحبُّ إليه مِن جَميعِ ما تُهدِيهِ إليهِ من غَيره.

قال الملكُ:

- إن هَدايا المُلُوكِ المُلُوكُ أدرَى بها.

فأَنفذَ الملكُ من العُودِ الهنديِّ الشيءَ العظيمَ، وأضافَ إليه من الطَرَائِفِ ما لم يُسمَعْ به مِن قَبْلُ، فضلاً عنِ الجَوَاهرِ واليواقيتِ تُقَدَّرُ بأَضعافِ ما حَمَلَه الصاحبُ إليه.

ولَمَّا حَان موعِدُ الوَداعِ دَعَا المَلِكُ بصُندوقٍ، فَفَتَحَهُ وأَخرجَ منه مُفتاحاً من ذَهَبٍ، وأَخرَجَ من الصندوقِ قِطَعَ عُودٍ هِنديٍّ لطافٍ مِقْدارَ نِصْفِ رطلٍ، ثم دَعَا بصندوقٍ صَغير وجَعَله فيه وقَفَلَهُ بالمُفتاح الذهبيِّ، وسَلَّم المفتاحَ إلى الصَاحبِ وقال له:

- هذا خاصٌّ بالمُلوكِ تُسَلِّمُه من يَدِكَ إلى يَدِ الخَليفَةِ.

فأنكَرَ الصاحبُ ذلك في نفسِه. ونظرَ الملكُ إلى وَجْهِهِ فقَرَأَ **استِهْجَانَهُ** مِن ذلكَ فقَالَ:

- أظنُّك استَغْرَبْتَ الأَمرَ؟

قالَ الصَاحبُ:

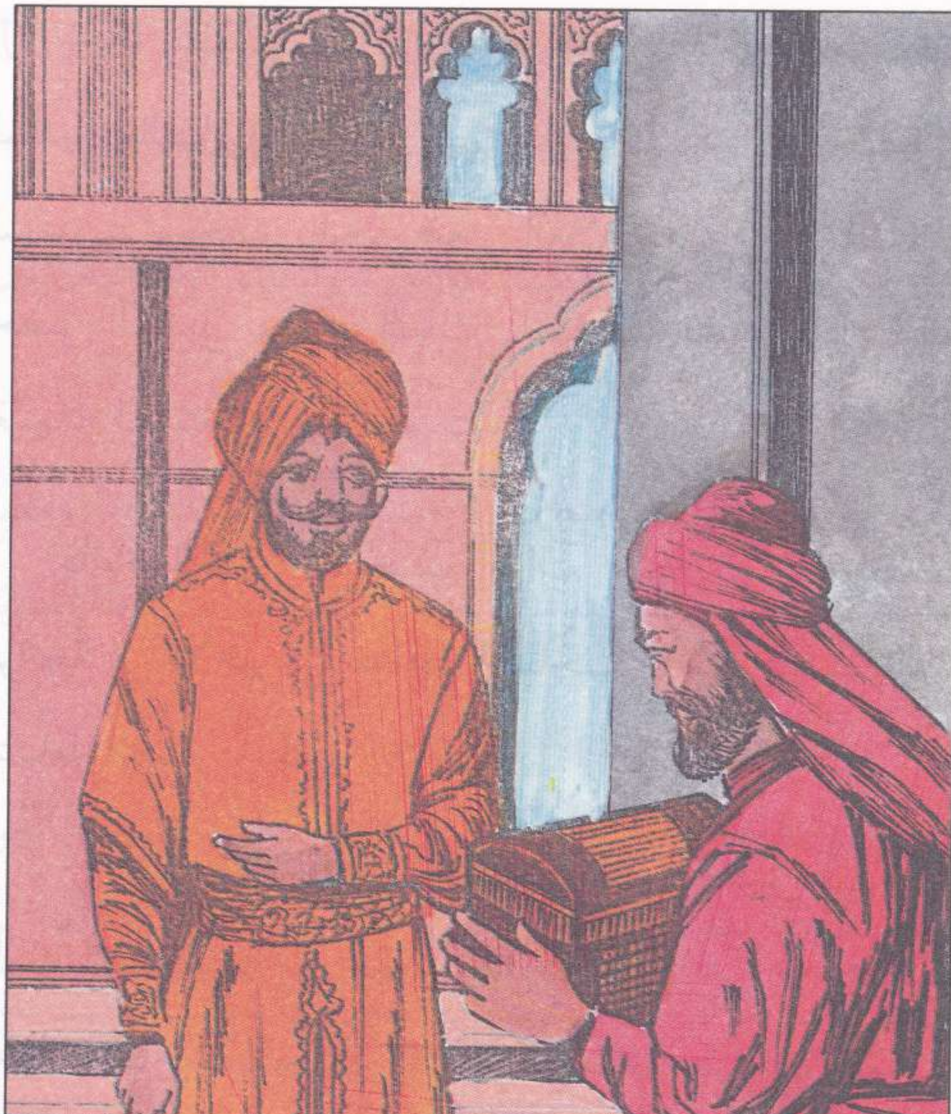
- وما هَذا حتَّى تُوصِيني فيه بمثلِ هذا؟

ثم أَمَرَ الملكُ الغلامَ باستقدامِ مَجْمَرَةٍ فيها نارٌ، فأُتِيَ بها ودَعَا بمنديلٍ لطيفٍ للكمِّ، فأُتيَ به وأخرجَ مِن العُود **شظيَّةً** قَدْرَ حَبَّةِ عَدسٍ وطَرَحَها في الجمْر وبَخَّرَ بها المِنديلَ ثمَّ قَدَّمَه للصاحبِ فشمَّه. شمَّ عِطراً لم يَشُمَّ مثلَه من قبلُ قطُّ فانتعَشَ انتعاشاً مُذْهِلاً وقال:

- يحقُّ لهذا أن توصِيَني به يا مولاي، فهذا أَخّاذٌ نادرُ الوجُود.

قال الملكُ:

- إصبِرْ حتَّى أُريَكَ من أعجبِ مِمَّا رأيتَ.



ودَعَا بطَسْتٍ وماءٍ، فأَحضَرَهُما الغلامُ، وأمرَ بغسلِ المنديلِ بالصَابونِ، فغُسِلَ بين يَديْه، ثمَّ أمرَ أن يُجَفَّفَ في الشمس، وَيُحْضَرَ إليه. ففعلَ الغُلامُ بما أمرَ الملكُ، ثمَّ أحضَرَ المنديلَ وقدَّمَهُ الملكُ للصَاحبِ فَشَمَّهُ فإذا الرائحةُ بِعَيْنِها، لم تتغيَّرْ، ولا نقصَتْ.

فأعادَ الغَسْلَ والتجفيفَ مرَّاتٍ عَشْرًا إلى أنِ انقطعَتِ الرائحةُ في الأخيرِ، فاستَعْظَمَ الصاحبُ الأمرَ. فابتسمَ الملكُ ابتسامةَ انتصارٍ واعتزازٍ وقال:

- اعْرَفِ الآن قَدْرَ ما مَعَكَ، واعْلَمْ أنَّه ليسَ في خزائنِ مُلوكِ الهندِ كلِّها مِن هذا، رَطلٌ واحدٌ، غيرَ ما أَعطيتُك، وَعَرِّفْ صاحبَك الخليفةَ فضيلَتَه. وأَطْلِعْهُ على سِرِّ العُود.

أَقلَقَ الخَليفةَ طُولُ غيابِ الصَاحبِ، فَلاحَظَ ذلك حَاجبُهُ الذي كانَ يُضمِرُ الشَرَّ للتَاجِرِ للمكانةِ التي حَظيَ بها هذا الأخيرُ بعدَ زيَارَةِ الخَليفَةِ لدَارِ ابنِ طاهِر. فَهَمَسَ في أُذنِ

الخَليفةِ بأنَّهُ قَد عرفَ مِنَ الأَنْبَاءِ الوَارِدَةِ منَ السندِ بأنَّ الصاحبَ، قد خانَ الأمانَةَ وَاستَأثر بالهَدَايا لنفسِه.

إسْتَبَدَّ الغَضَبُ بالخَليفَةِ **فَأَرغَى وَأَزبَدَ**، وأمَرَ صاحبَ شُرطتِهِ بأن يأتي له بالتَاجِرِ خلال يَومَينِ مُكبَّلاً بالحديد.

وفجأةً عَلاَ الضَجِيجُ في صَحنِ دَار الخلافةِ وسُمِعَ صَوتُ الحاجبِ وكأنَّهُ يتوسَّلُ للتَاجرِ الذي ملأَتْ قَافِلةُ هَدَايَاهُ الرحَابَ.

فأطلَّ الخَليفَةُ ليُفَاجأَ بصَاحِبِهِ التاجرِ وقَد أحضَرَ له العُودَ الهنديَّ مُرفَقاً بِهدايَا لا عَدَّ لها ولا حَصْر، فانفرجت أسَاريرُه وَابتسَمَ ابتسَامَةَ الرَّاضِي، وهَدَأَتْ أعصابُ صَاحبِ الشُرطةِ، وتمنَّى الخادمُ لو تَنشَقُّ الأرضُ وتَبلعُه.

فسُرَّ الخليفة بها وبمَقْدَمِهِ، وأكرَمَهُ، وأعَادَ الصاحبُ على الخليفةِ أكثرَ الأحاديثِ التي دارَتْ بينَه وبينَ ملكِ الهندِ إلى أن بلغَ خبرَ نصفِ الرطل، وأخرجَه فسَلَّمه إليه ولم

يَشْرَحْ له خبره. فاستَحْمَقَ الخليفةُ طرائفَ ملوكِ الهند، فَقصَّ الصاحبُ عَلَيه خبرَ العُودِ وأَتَى بِمَجَمَرَةٍ وجمرٍ ومنديلٍ وفَعَل كمَا فعلَ الملكُ. فَسُرَّ الخَليفَةُ لذلكَ سُرُورًا شَدِيدًا وطابَتْ نَفْسُهُ لما رَأَى.

وَبَعدَ أن نَقَلَ الصَّاحِبُ إلى الخَليفةِ سِرَّ العُودِ، قالَ لهُ الخَلِيفَةُ:

- يا هذا، في البَدْءِ أَنقذْتَني مِنَ الموتِ، وأنتَ الآن تُنعِشُ صَدري باقي عمري، أبشِرْ، إني مُحِيطُكَ برعايتي ومُغْدِقٌ عليكَ من النِعَمِ ما يُمكِنُكَ وأحفادَك مِن بعدِكَ، العيشَ رَغداً لا تحتاجُ إلى أحد...



قاموس الحكاية

ثقات: ج ثقة: خاصة الإنسان وأكثر المقربين إليه وموضوع ثقته.

جزعٌ: خوفٌ.

تعدو: تسرع، تركض.

دهاليز: ج دهليز: سرداب.

صحن القصر: فناؤه، ساحته.

أطرى: مَدَحَ، أثنى.

غشماً: جهالة.

تكتنفها: تحيط بها.

المهيب: صاحب الهيبة والجلال.

استطاب: رآه طيباً.

أفاضَ معه: أكثر من الحديث معه.

تلمَّظ: مسح شفتيه بلسانه بعد الشرب الطيب.

استصحبتُ: أحضرتُ.

دنان: ج دنّ: وهو كأس الخمرة.

بَعُدَ في نفسي: شككتُ في الأمر.

مبتذَلاً: متداوَلاً، في متناوَل الجميع.

يتسامران: يتبادلان الأحاديث، أحاديث السَّمَر.

أسنى: أجزل، بالغ في العطاء.

يبلى: يفنى، يزول.

استهجانه: استغرابه.

شظيَّة: قطعة صغيرة.

أرغَى وأزبَدَ: للتعبير عن الغضب الشديد.

أسئلة

١ - في فَهْم الحكاية

١ - هل تعرف شيئاً عن الخلافة العباسيّة؟ مَنْ هو أول خليفة عباسي؟

....

....

٢ - حاول أن تعرف شيئًا عن دور الترك في الخلافة العباسيّة؟

....

....

٣ - ما الذي يشير في القصة إلى تسلُّط هؤلاء الترك؟

....

....

٤ - هل كان الصاحبُ مخلصاً في نصيحته للخليفة؟ اشرح؟

....

....

٥ - ما هو العودُ الهنديّ؟

....

....

٦ - ألا ترى أن اهتمام الملوك القدماء بمثل هذه الأشياء يصرفهم عن شيء أهمّ؟ اشرح؟

....

....

٧ - أين الغرابة في زيِّ الملك الهندي؟

....

....

٨ - أين وكيف تعلّم الملك الهنديُّ اللغةَ العربية؟

....

....

٩ - إن بلاطات القدماء كان مسرحاً للدسائس والمؤامرات. هل بدا لك ذلك في هذه القصة؟

....

....

....

١٠ - ماذا تستنتج من هذه القصة؟

....

....

....

٢ - في اللغة والتعبير

١ - أعطِ معاني المفردات التالية:

ينصّبُون: .... ارتفع نجمه: ....

الهيبة: .... نفيسة: ....

ركوب الأخطار: .... سارَ بمعيَّتها: ....

المقتنيات: .... تقشُّف: ....

ردحاً من الزمن: .... استصحب: ....

٢ - ما الفرق بين:

- كلَّم: ....

- تكلَّم: ....

٣ - ما معنى:

- الكَلِم: ....

- الكُلُوم: ....

٤ - ألِّف جملاً مفيدة فيها:

- ما مِن... إلا...: ....

- غَصَبَهُ الملك: ....

- كان... لئلا...: ....

- ما بالك: ....

- حُقَّ لي...: ....

٣ - في القواعد

١ - أعطِ اسمي فعل بمعنى الماضي؛ واسمين بمعنى المضارع؛ واسمين بمعنى الأمر؟

....

....

٢ - ما هي «الياء» في كلٍّ مما يلي:

أرضاني: .... أَخْضِرِي: ....

ولدي: .... القاضي: ....

تقدمين: ....

٣ - حَوِّل إلى المجهول:

- فاجأ الخليفةُ الصاحبَ: ....

- زرعتُ القمحَ: ....

- سرتُ سيراً حثيثًا: ....

- تتكلَّف الملوك إنفاقَ الأموال: ....

- يرمونهم بسهمٍ صائبٍ: ....

٤ - أعرب ما يلي: لا يصحُّ أن تطوق إلا ومعك نفسانِ ـ ذلك لا يجوزُ.

سِلسِلة حِكايات السَّمَر

تَغُوصُ في التَّاريخِ، تُحيي شَخصيَّاتِهِ، في سِيَاقٍ قَصَصِيٍّ مُمْتِع رَاعَيْنا فيه قُدرَةَ الوَلَدِ على الاستِيعَابِ، لُغةً ومعلوماتٍ، لإيصاله إلى استِنتاج العِبَرِ التي يتحرَّكُ الأشخاصُ بوَحْيِها. وقد رَبَطْنَا كلَّ قِصَّة بواقِعِ التحصيل المدرسيِّ فألْحَقْنَا بها قاموساً للمفرداتِ وأسئلةً متنوِّعةً تحرِّك الذهنَ، وتدفعُ الولدَ إلى التفتيش والتقصِّي.

تتضمّن هذه السلسلةُ العناوينَ الآتية: